

استهل الحق سبحانه الآية بقوله :

﴿ بِالْبَيْاتِ وَالرُّبُرِ .. 🗃 ﴾

[النحل]

ويقدل أمل اللغة : إن النجار والمنجرور لا بُدّ له من متعلق .. فيحاذا يتعلق الجار والمنجرور هنا ؟ قالوا : يجوز أنْ يتعلّق بالفعل (نُوحِي) ويكون السناق : وما أرسلنا من قبك إلا رجالا تُوحِي اليهم بالبينات والزير .

والد يتعلق الجار والمجرور بأهل الذكر .. فيكون المعنى : فاسألوا أهل الذكر بالبيتات والزبر ، فهنان وجهان لعودة الجار والمجرور ،

والبيئات: هي الأمر البين الواضح الذي لا يشكُ فيه أحد .. وهو إما أن يكون أمارة تُبوت صدق الرسالة كالمعجزة التي تقصدي المكذّبين أنْ يأتوا بمثلها .. أو : هي الآيات الكونية التي تلفتُ الخُلُق إلى وجود الخالق سيصانه وتعالى ، مثل آيات الليل والنهار والشمس والقعر والنجوم .

⁽١) الزُّبَر : لكتب والزُّبِر : لكتابة ، وقد ضلب الزبور على صحف داود عليه المعلام ، قال ثمالى : ﴿وَقَدْ كَتَبَا فِي الزِّبُورِ مِنْ بَعْدِ اللَّهُمِ ،، ﴿ ﴿ الْانبِياءَ] قال أبو هريرة : الزبور ما أنزل على داود من بعد التوراة .

@Y10T@@#@@#@@#@@#@@#@

اما الزُّبُر ، نمعناها : الكتِب المكتوبة .. ولا يُكتب عادة إلا الشيء النفيس سخافة أنَّ يضيعَ ، وليس هذا انفَسُ سما ياتينا من منهج الله ليُنظَم لَنَا حركة حياتنا .

ونعرف أن العدرب _ قديما _ كانوا يسألون عن كُلُّ شيء مهما كان حقيداً ، فكان عندهم علم بالسهم ومَنُ أول صانع لها ، وعن القوس والرَّحُل ، ومثل هذه الأشياء البسيطة .. ألا يسألون عن آيات الله في الكون وما فيها من أسرار وعجائب في خُلُقها تدلُّ على الخالق سبحانه وتعالى ؟

ثم يقول المق تبارك وتعالى :

﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ اللَّكُرُ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِلَ إِلَيْهِمْ .. ٢٠٠٠ [النحل]

كلمة الذكر وردت كثيرا في القرآن الكريم بمعان متعددة ، وأَصلُ الذكر أنْ يَعْلُلُ الشيءُ على البال بحيث لا يضيب ، وبذلك يكون ضدة النسيان .. إذن : عندنا ذكر ونسيان .. فكلمة ، ذكر ، هذا معناها وجود شيء لا يتبغى لنا نسيانه .. فما هو ؟

الحق سبحات وتعالى حينما خلق آدم - عليه السلام - أخذ العهد على كُلُّ ذرُة فيه ، فقال تعالى :

﴿ وَإِذْ أَخْسَدُ رَبُّكُ مِن يَتِي آدِمَ مِن ظُهُسُورِهِمْ ذُرِيْتُهُمْ وَأَشْسَهُسَكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ النَّسِيَّةُ إِنَّا كُمَّا عَنْ أَنفُسِهِمْ النَّسِيَّةُ إِنَّا كُمَّا عَنْ النَّفُسِهِمْ النَّسِيَّةُ إِنَّا كُمَّا عَنْ هَنْدُا أَنْ نَهُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُمَّا عَنْ هَسُهِمْ أَلَسِيَّةً إِنَّا كُمَّا عَنْ هَسُهُمْ أَلَوا بَلَىٰ شَهِدُنَا أَنْ نَهُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُمَّا عَنْ هَسُلُنَا عَافِلِينَ (٢٧٦) ﴾ والاعراف]

OC+CC+CO+CO+CC+C

وأخذ العهد على آدم هو عَهْد على جميع ذريته ، ذلك لأن في كُلُّ واحد من بنى آدم ثرَّة من أبيه آدم .. وجـزءً حياً منه نتيجة التوالُد والتناسُل من لَدُن آدم حتى قيام الساعة ، وما دُمْنا كذلك غند شهدنا أخذ العهد : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبُكُمْ ﴾ .

وكأن كلمة (ذكر) جاءت لشّدَكّرنا بالعهد المطمور في تكويننا ، والذي ما كان لنا أنْ ننساء ، فلمّا حدث النسيان اقتضى الأمرُ إرسالَ الرسل وإنزالَ الكتب لتذكّرنا يعهد الله لنا :

ومن هذا سَمَينا الكتب الصنزلة ذكرا ، لكن الذكر ياتي تدريجياً وعلى مراحل .. كلُّ رسول ياتي ليُذكَّر قومه على حَسَب ما لديهم من غفلة .. اما الرسول الخاتم ﷺ الذي جاء للناس كافّة إلى تيام الساعة ، فقد جاء بالذكر الحقيقي الذي لا ذكْر بعده ، وهو القرآن الكريم .

وقد تأتى كلمة (الذكر) بمعنى الشَّبِرَف والرِّفُعة كما في قوله تعالى للعرب :

وقد أصبح للعرب مكانة بالقرآن ، وعاشت لفتهم بالقرآن ، وتبوءوا مكان الصدارة بين الأمم بالقرآن .

وقد يأتي الذكر من الله للعبد ، وقد يناتي من العبد لله تعالى كما في قوله سيمانه :

﴿ فَاذْكُرُ وَنِي أَذْكُوكُمْ . . (107 ﴾

[البقرة]

CY100C+CC+CC+CC+CC+C

والمعنى : فاذكروني بالطاعة والإيمان أذكركم بالفيوضات والبركة والخير والإمداد وبثوابي .

وإذا أطلقت كلمة الذكر انصرفت إلى ما نزل على رسول الله ﷺ : لانه الكتباب الجامع لكُلُ ما نزل على البرسُل السبابُقيين ، ولكل ما تحتاج إليه البشرية إلى أنْ تقومُ الساعة .

كما أن كلمة كتاب تطلق على أى كتاب ، لكنها إذا جاءت بالتعريف (الكتاب) انصرفت إلى القرآن الكريم ، وهذا ما نسميه (علّم بالظبة) .

والذكر هو القرآن الذي نزل على محمد ﷺ ، وهو معجزته الخالدة في الوقت نفسه ، فهو منهج ومعجزة ، وقد جاء الرسلُ السابقون بمعجزات تحالها ، وكتب تحالها ، فالكتاب منفصل عن المعجزة .

فموسى كتابه الـتوراة ومعجزته العصا ، وعيسى كـتابه ومنهجه الإنجيل ومعجزته إبراء الأكمه والأبرص (١) وإحياء الموتى بإذن الله .

اما محمد ﷺ فسعجزته هي نفس كتاب سنهجه ، لا يتفصل احدهما عن الآخر لتخللُ المعجزة مُساندة للمنهج إلى قيام الساعة .

وهذا هو السّر في أن الحق تبدارك وتعالى تكفل بحفظ القدران وحمايته ، فقال تعالى :

﴿ إِنَّا نَعُنُ نُوْلُمًا الذِّكُرُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۞ ﴾

اما الكتب السابقة فقد عُهد إلى التابعين لكل رسول منهم بحفظ كتابه ، كما قال تعالى :

 ⁽١) الأكمة : الموارد أمسن ، وقد يكون هائثاً بعد بعد ، والأبرس : من أصابه مدفق البرس ، وهو مرض جادى يُحدى بُنماً بيضاء في الجاد تشرهه : [القاموس القريم مائتا : كه ، برس] .

﴿ إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدْى وَنُورٌ يَحَكُمْ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسُلَمُوا للَّذِينَ هَادُوا وَالرِّبَّانِيُونَ وَالأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كَتَابِ اللَّهِ . ﴿ ٢٠ ﴾

[المائدة]

ومعنى استُحفظوا : أى طلبَ الله منهم أنْ يحفظوا التوراة ، وهذا أمْسرُ تكليف قد يُطلَع وقد يُحصي ، والذي حدث أن اليهبود عَصدواً وبندُوا وحَرَّفوا في التوراة .. أما القرآن فقد تعهد الله تعالى بحفظه ولم يترك هذا لأحد ؛ لأنه الكتاب الخاتم الذي سيماحب البشرية إلى قيام الساعة .

رمن الذّكر أيضا ما جاء به الرسول ﷺ مع القرآن ، وهو الحديث الشريف ، فللرسول مُهمة أخرى ، وهي منهجه الكلامي وحديثه الشريف الذي جاء من مشكاة القرآن مبيّنا له وموضعا له _ كما قال ﷺ :

الأوإنّى قد أوتيت القرآن ومثله معه ، يُوشك رجل شبعان يتكىء على أريكته يُحدّث بالعديث عنى فيقول : بيننا وبينكم كتاب الله ، فما وجدنا فيه من حال حلّلناه ، وما وجدنا فيه من حرام حرّمناه ، ألا وإنّه ليس كذلك » (1) .

ويقول الحق سيماته :

﴿ لِتُمَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا تُؤِّلُ إِلَيْهِمْ .. ٢٠٠

[النمل]

 ⁽۱) اخرجه احدد فی مسنده (۶/ ۱۳۱) ، وابو داود فی سنته (۴۹۹۱) ، وابن حدیان (۱۷ ـ موارد الظمآن) من حدیث العقدام بن معدیکرپ .

مُنونكا المعتاليّ

○^{14,6}¥○○+○○+○○+○○+○○+○

إذن : جاء القرآن كتاب معجزة ، رجاء كتاب منهج ، إلا أنه ذكر أصول هذا المنهجية والشروح التعريفات المنهجية والشروح اللازمة لتوضيح هذا المنهج ، وإلا أطالت المسالة ، وتضخم القرآن وربما بعد عن مُراده .

نجاء القرآن بالأصول الثابتة ، وترك للرسول ﷺ مهمة أنَّ يُبيّنه للناس ، ويشرحه ويُوضَع ما نيه .

وقد يظن البعض أن كُلُّ ما جاءتُ به السُّنة لا بلزمنا القيام به ؛
لانه سنة بُنَّابِ مَنْ فعلها ولا يُعاقب مَنْ تركها ، نقول : لا .. لابُدُّ أن
تُعرُق هنا بين سُنَية الدليل وسُنَية الحكم ، حتى لا بلتبس الأمر على
الناس .

فسنتية الدليل تعنى وجود فَرْضَ ، إلا أن دليله ثابت من السنة .. وذلك كبيان عدد ركعات الفرائض : الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فهذه ثابتة بالسنة وهي فَرْض .

اما سُنية الحكم: فيهى أمور وأحكام فنفهية وردت عن رسول الله وَهِيْ ، يُكَاب فياعلها ولا يُعاقب تاركها .. فيحين يُبيّن لنا الرسول يسلوكه وأسوى حُكُما ننظر: هل هي سنّية الدليل فيكون فكرفنا ، أم سنّية العليم فيكون سنّة ؟ ويظهر لنا هذا أيضاً من مواظبة الرسول على هذا الأمر ، فإنّ واظب عليه والترمه فهو فرض ، وإنْ لم يواظب عليه فهر سنة .

إذن : مهمة الرسول ليست مجرد مُنَاولة القرآن وإبلاغه للناس ، بل وبيان ما جاء فيه من المنهج الإلهي ، فلا يستقيم هذا البلاغ دون

بيان .. والأبدُّ أن تفريَّق بيان العطائين : المعطاء القرآني، والعطاء النبوي .

ويجب أن نعلم هذا أن من السيّرات التي مُيّر بها النبي الله عن سائر إخوانه من الرّسل ، أنه الرسول الوحيد الذي أمنه الله على التشريع ، فقد كان الرسل السابقون يُبِلّغون أوامر السماء فلّط وانتهت المسالة ، أما محمد على فقد قال الحق تبارك وتعالى في حقّه :

﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرُّسُولُ فَخُذُرهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنَّهُ فَالنَّهُوا .. ٧٠ ﴾ [العشر]

إنن : أخذ مَيْدة التقريع ، فأصليمت سنّته هي التشريع الثاني بعد القرآن الكريم .

ثم يقول تعالى :

﴿ وَلَمَّلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿ ٢

[النحل]

يتفكرون ، في أي شيء ؟ يتفكرون في حال الرسول الله قبل البعثة ، حيث لم يُؤثر عنه أنه كان خطيبا أو أديبا شاعراً ، ولم يُؤثر عنه أنه كان خطيبا أو أديبا شاعراً ، ولم يُؤثر عنه أنه كان كاتبا مُتعلّماً .. لم يُعرف عنه هذا أبداً طيلة أربعين عاماً من عمره الشريف ، لذلك أمرهم بالتفكّر والتدبّر في هذا الأمر ،

فليس ما جاء به محمد عبقرية تفجّرت مكفا مرّة واحدة في الأربعين من عمره ، فالعمر الطبيعي للعبقريات يأتي في أواخر العقّد الثالث من العمر .

ولا يُعلقل أنَّ تُتُوجِّل العبلقرية عند رسلول الله إلى هذا السن وهو يرى القلوم يُصرَّعون حلوله .. فيلموت أبوه وهو في بطن أمه ، ثم

@VI-1@@+@@+@@+@@+@@+@

تمرت أمه وما يزال طفلاً صغيراً ، ثم يمرت جَدُّه ، فعن بضعن له الحياة إلى سنَّ الأربعين ، حيث تتفجّر عنده هذه العبقرية ؟!

إذن : تفكّروا ، فليست هذه عبقرية من محمد ، بل هي أمر من السماء ؛ ولذلك أمره ربُّه تبارك وتعالى أن يقول لهم :

﴿ قُلْ لُو شَاءً اللَّهُ مَا تَلُوتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِشْتُ فِيكُمْ عُمُراً مِن قَبْلِهِ أَفَلا تُغْفِلُونَ ۞ ﴾

فكان عليكم أنَّ تفكُّروا في هذه المسالة .. ولو فكرتُمٌ فيها كان يجب عليكم أنْ تتهافتوا على الإسلام ، فانتم أعلم الناس بمحمد ، وما جرَّيتم عليه لا كذباً ولا خيانة ، ولا اشتغالاً بالشعر أو الخطابة ، فما كان ليُصدق عندكم ويكنب على الله .

ولا بدّ أن نُفرِق بين العقل والفكر ، فالعقل هو الآداة التي تستقبل المحسّات وتُميّزها ، وتخرج منها القضايا العامة التي ستكون هي المباديء التي يعيش الإنسان عليها ، والتي ستكون عبارة عن معلومات مُخترنة ، أما الفكر فهو أن تفكر في هذه الأشياء لكي تستنبط منها الحكم .

والله سبمانه وتعالى ترك لذا حُرية التفكير وحرية العقل في أمور دنيانا ، لكنه ضبطنا بامور تَسْرية يفسد العالم بدونها ، فالذي يفسد العالم أن نترك ما شرعه ألله لذا .. والباقى الذي لا يترتب عليه ضرر يترك لذا فيه مجالاً للتفكير والتجربة ؛ لأن الفشل فيه لا يضر .

فما أراده الله حكما قسرياً فرضه بنص صريح لا خلاف فيه ، وما أراده على وجوه متعددة بتركه للاجتهاد حيث يحتمل ألفعل فيه

أوجها متعددة ، ولا يؤدى الخطأ فيه إلى فساد .

فالمسألة ميزان فكرى يتحكم في المحسات وينظم القيضايا ، لنرى أولاً ما يريده ألله بتاً وما يريده اجتهاداً ، وما دام اجتهاداً فما وصل إليه المجتهد يصح أنْ يعبد ألله به ، ولكن آفة الناس في الأمور الاجتهادية أن منهم مَنْ يتهم مسخالفه ، وقد تصل الحسال بهؤلاء إلى رُمْى مخالفيهم بالكفر والعياذ بالله .

ونقول لمثل هذا : اتق الله ، فينا اجتهاد من اصباب فيه قلة اجران ، ومَنْ أخطأ فله أجر (أسلال تجد من العلماء مَنْ يعرف طبيعة الأمور الاجتهادية فنراه يقول : رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب . وهكذا يتعايش الجميع وتُحترم الأراد .

ومن رحمة الله بعباده أن يسامرهم بالتفكّر والتعبر والنظر ؛ ذلك لأنهم خلّقه سبحانه ، وهم أكرم عليه من أن يتركهم للضلال والكفر ، بعد أن أكرمهم بالخلّق والعقل ، فأراد سبحانه أن يكرمهم إكراماً آخر بالطاعة والإيمان .

وكانه سبحانه يقول لهم : رُدُّوا عقرلكم ونفوسكم عن كبرياه الجدل ولَجَح الخصومة ، وإنْ كنتم لا تؤمنون بالبعث في الآخرة ، وبحا أعد للظالمين فيها من عقاب ، فانظروا إلى ما حدث لهم وما عُجُّل لهم من عذاب في الدنيا .

 ⁽۱) عن عصرو بن العاص رضى الله عنه أنه سمع رسول الله الله قال : « إنا حكم الصاكم فاجتهد ثم أمياب فله أجران ، وإذا حكم فاجتهد ثم أشطأ ظه أجر ، أشرجه مسلم في صحيحه (١٧١٦) ، والبشاري في صحيحه (٧٢٥٧) .

OV17100+00+00+00+00+00+0

انظروا للذين سيقوكم من الأمم المكتّبة وما آلَ إليه مصيرهم ، أم أنتم آمنون من العذاب ، بعيدون عنه ؟!

ثم يقول تبارك وتعالى :

مَنْ أَفَأَمِنَ ٱلَّذِينَ مَكُرُوا ٱلسَّيِّعَاتِ أَن يَغْسِفَ ٱللَّهُ بِمِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْيَا لِيَهُ مُ ٱلْعَدَابُ مِنْ حَبِثُ لَا يَمْمُ مُرُونَ اللَّهِ مَا لَا يُصَعِّرُونَ اللَّهِ اللهِ عَلَيْ قوله تعالى :

﴿ أَنَّانَ . . ۞ ﴾

[النحل]

عبارة عن همزة الاستفهام التي تستقهم عن مضمون الجعلة بعدها .. اما الفاء بعدها فهي حُرَّف عَلَف يعطف جعلة على جعلة .. إذنُ : هنا جعلة قبل القاء تقديرها : أجهلوا ما وقع لمخالفي الأنبياء السابقين من العذاب ، فامثُوا مكر الله !

اى : أنْ أُمنهم لمكر الله ناشيءً عن جهلهم بما رقع للمكذّبين من
 الأمم السابقة .

ثم يقول تعالى :

﴿ مُكَرُوا السُّيَّاتِ .. ② ﴾

[النحل]

المكر : هو النبيب الخفى للنيل معن لا تستطيع مجابهته بالحق ومجاهرته به ، فانت لا تُبيّت لاحد إلا إذا كانت قدرتك عاجزة عن مُصارحته مباشرة ، فكونك تُبيّت له وتعكر به دليل على عَجْزك ؛ ولذلك جطوا المكر أول مراتب الجُبْن : لأن الماكر ما مكر إلا لمجزه

عن المواجهة ، وعلى قَدْر ما يكون المكّر عظيما يكون الضعف كذلك .

وهذا ما تلميله من قوله تعالى في حَقَّ النساء :

﴿ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿ ١٤٠ ﴾ .

وقال في خُقُّ الشيطان :

﴿ إِنَّ كُيدُ النَّيْطَانِ كَانَ صَعِيفًا ﴿ ﴿ إِنَّ كُيدُ النَّيْطَانِ كَانَ صَعِيفًا ﴿ ﴿ إِنَّ كُيدُ

فالمكر دليل على الضعف ، وما دلم كُيدهُن عظيماً إذن : ضَمَعُهُمن أيضاً عظيم ، وكذلك في كيد الشيطان .

وقديماً قالوا : إياك أنَّ يسلككُ الضعيف ؛ ذلك لأنه إذا تعكُن منك وواتنه الفرصة فلن يدعكُ تُقلت منه ! لأنه يعلم ضعفه ، ولا يضمن أن تُتاحَ له الفرصة مرة أخرى ؛ لذلك لا يضيعها على مكس البوى ، فهو لا يحرص على الانتقام إذا أتيحَتْ له الفرصة وربما فَرَّتها لقُوته وقدرت على خَصَعه ، وتعكّنه منه في أيُّ وقت يريد ، وفي نَفس المعنى جاء قول الشاعر :

رَ مُنْعِيفَةٍ قَوْدًا أَمِنَابِتُ فُرْمِيةً ﴿ قَتَلْتُ كَذَٰلِكَ تُدَرِهُ الْمُنْعَفَاءِ إِنْ : تَدَرَةَ الضّعفاء قد تقتل ، أما قدرة القوى فليستُ كذلك .

ثم لنا وقفة أخرى مع المكر ، من حيث إن العكر قد ينصرك على مساويك وعلى مثلك من بني الإنسان ، فإذا ما تعرضت لمن من اقوى مثلك مثل من بني الإنسان ، فإذا ما تعرضت لمن من اقوى مثلك وأكثر منك حيطة ، وأحكم منك مكرا ، فريما لا يُجدى مكرك به ، بل ربعا غلبك هو بمكره واحدياطه ، فكيف الحال إذا كان الماكر بك هو رب العالمين تبارك وتعالى ؟

رمندق الله العظيم حيث قال :

﴿ وَيَمْكُرُونَ رَبِّمَكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ۞ ﴾ [الانتال]

وقال:

﴿ وَلا يَحِيقُ (ا الْمَكُرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ . . ﴿ إِلاَّ بِأَهْلِهِ . . ﴿ اللَّهِ إِلَّا بِأَهْلِهِ . .

نمكُر العباد مكشوف عند الله ، أما مكُرُه مسيحانه فإلا يقدر عليه أحد ، ولا يحتاط منه أحد ؛ لذلك كان الحق سبحانه خَبِر الماكرين .

والمكر السّيء هو المكر البطّال الذي لا يكون إلا في الشر ، كما حدث من مكر المكذّبين للرسل على مَرّ العصور ، وهو أن تكيد للغير كيّا يُبطل حَقّاً .

وكل رسول ذابله قرمه المنكرون له بالمكّر والخديمة ، دليل على انهم لا يستطيعون مواجعت مساشرة ، وقد تعرّض الرسول ﷺ المراحل متعددة من الكيّد والمكّر والخديمة ، وذلك لحكمة ارادها الحق تبارك وتعالى وهي أن يُوسُ الكفار من الانتحمار عليه ﷺ ، فقد بيّتوا له ودبّروا لقتله ، وحاكّوا في سبيل ذلك الخطيط ، وقد باءت خُطتهم ليلة الهجرة بالفشل .

وفي مكيدة أغسرى حاولوا أن يُستحروه في ولكن كشف الله أمرهم وخبيّب سَعْمِهم .. إذن : فعاي وسيلة من وسائل دُحُض هذه الدعوة لم تتجموا فيها ، وتصره الله عليكم ، كما قال تعالى :

⁽١) حاق به الشيء : تزل به وأمنايه وأحاط به ، [القامرس القويم ١٨١/١] ،

 ⁽۲) عن عائشة رخص الله عنها قالت و سُحر النبي الله حتى كان يخيل اليه أنه يقعل الشيء وما يقعله و مسحره لبيد بن الاعمام فلى مشط ومشاقة رجف طلعة ذكر في بثر فرزان .
 اخرجه البخاري في منحيحه (۲۲۱۸) وأحدد في مسئده (۲/۱۰ ، ۲۰) .

﴿ كُتُبَ اللَّهُ لِأَغْلِبُنَّ أَنَا وَرَّسُلِي . . (13)

وقوله تعالى :

﴿ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ . ۞ ﴾

النسبة : هو تغييب الأرض ما على ظهرها - تانفست الشيء أيُّ : غاب في باطن الأرض ، ومنه خُسوف النس أي : غياب ضوَّته .

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى عن قارون :

﴿ فَخَسَفُنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الأَرْضَ . . (التسمى]

وهذا نوع من العبداب الذي جاء على صلور متعددة كما ذكرها القرآن الكريم :

. ﴿ فَكُلاَ أَخَذَنَا بِلَنْهِ فَمِنْهُم مِّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ خَاصِبًا وَمِنْهُم مِّنْ أَخَذَتُهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مِّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مِّنْ أَغُرَقْنَا .. ﴿ إِللَّهُ السَّكِوتِ]

هذه ألوان من العسناب الذي حماق بالمكنبين ، وكسان يجب على هؤلاء أن يأخذوا من سابقيهم عبرة وعظة ، وأنَّ يحسناطوا أن يحدث لهم كما حدث لسابقيهم .

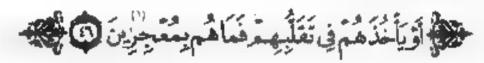
ثم يقول الحق تبارك وتعالى :

﴿ أَوْ مَأْتِيَهُمُ الْعَلَافِ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ١٤ ﴾

والمراد أنهم إذا لحتاطوا لمكر الله وللعناب الواقع بهم ، أناهم الله من وجبهة لا يشهرون بها ، ولم تنظر لهم على بال ، وطالما لم تنظر لهم على بال ، إذن : قلم يحتاطوا لها ، فيكون أشتهم يسيراً ، كما قال تعالى :

﴿ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا . . ٢٠٠٠ [العشر]

ويتابع الحق سبحانه ، فيقول :



التخلّب : الانتخال من حبال إلى حبال ، أو من مكان إلى مكان ، ووالانتقال من مكان إلى مكان ، والانتقال من مكان الإقامة إلى مكان أغسر دليل القوة والعقدرة ، حيث ينتخل الإنسان من مكانه حباساً متباعه وعَنّاده وجميع ما يملك ؛ لينشىء له حركة حياة جديدة في مكلنه الجديد .

إنن أن التقلّب في الحياة مظهر من مظاهر القرة ، بحيث يستطيع أن يقيم حياة جديدة ، ويعفظ ماله في رحلة تقلّبه .. ولا شكّ أن هذا مظهر من مظاهر العزة والجاه والثراء لا يقوم به إلا القوى ..

ولذلك درى في قول الحق تبارك وتعالى عن أهل سبا :

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَى ظَاهِرَةً وَقَلَّوْنَا ۖ فِيهَا السَّيْسَ مِسِيرُوا فِيهَا لَيَسَالِي وَأَيَّامُنا آمِنِينَ ۞ فَضَالُوا رَبِّنَا بَاعِبَدْ بَيْنَ السَّيْسَ مَسِيرُوا فِيهَا لَيَسَالِي وَأَيَّامُنا آمِنِينَ ۞ فَضَالُوا رَبِّنَا بَاعِبَدْ بَيْنَ السَّفَارِنَا . . () ﴾

فهنؤلاء قوم جمع الله لهم الوائا شتى من النعيم ، وأمَّن بالأدهم واسفارهم ، وجعل لهم محطات للراحة اثناء سفرهم ، ولكنهم وللعجب طلبوا من الله أن يُباعد بين اسفارهم ، كانهم أرادوا أنَّ يتميزوا عن

⁽١) أي : ليسرا ببعيدين عن أله وأن يقلنوا من عقابه سبحانه .

 ⁽٣) قدر كل شيء ومقداره : مقياسه ، وقدر الشيء تذره : ناسه ، [لسان العرب - مادة :
قدر] ، ذال ابن كشير في تفسيره (٥٣٢/٣) : - اي : جلطاها بحسب ما بحتاج
المسافرون إليه » .

الضعفاء غير القادرين على مشقة السفر والترجال ، فقائوا :

﴿ يَاعِدُ بَيْنَ أَسُفَارِنَا . ١٠٠٠) ﴿ السِا

حتى لا يقدر الضعفاء منهم على خَرُض هذه المسافات .

إذن : الذي يتقلّب في الأرض دليل على أن له من المال حال إقامة رحال خَلَعْن (') وقدرة على أن ينقل ما لديه ليقيم به في مكان آخر ! وحال خَلَعْن (') وقدرة على أن ينقل ما لديه ليقيم به في مكان آخر ! ولذلك قالوا : المال في الغربة وملن .. ومَنْ كَان قادراً يفعل ما يريد .

والحق سبحائه يقول لرسوله 攤:

﴿ لا يَعْرَنْكَ نَفَلْبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ (١٤٤٠ ﴾ [ال عدان]

قلا يضيفنك انتقالهم بين رحلتي الشناء والصبيّف ، فالله تعالى قادر أن يأخذُهم في تقلّبهم .

وقد يُراد تقلّبهم في الأفكار والمكّر السيء بالرسول ﷺ وصحابته كما في قوله تعظي :

﴿ لَقَادِ النَّافُوا الْفُسَّةَ مِن قَبْلُ وَقَلُّمُوا لَكَ الْأَمُورَ . . (التوبة]

ققد قلعدرا يُعْطَعُون ريدكُرون ريدبُرون للقضاء على الدعوة في مُهُدها .

ويقول تعالى :

﴿ لَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ٢٠٠٠)

[التحل]

المعجز : هو الذي لا يمكُّنك من أنَّ تغلبه ، وهؤلاء لن يُعجزوا الله

[.] الطمن : السير والترجال . (1)

تعالى ، وإن يستطيعوا الإفلات من عذابه ؛ لأنهم مهما بَيْتوا فتبييتهم وكَيْدهم عند أنه .. أما كيْد أنه إذا أراد أنْ يكيد لهم فلن يشعروا به :

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ .. ٢٠٠٠)

وقال :

﴿ إِنَّهُمْ يَكِمِدُونَ كَيْدًا ۞ وَآكِيدُ كَيْدًا ۞ فَمَهِلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۞ فَمَهِلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا ۞ ﴾

قَمَنُ لا يستطيع أن يقلبك يخضع لك ، وما دام يخضع لك يسيطر عليه المنهج الذي جثَّتَ به .

وقد يكون العبجز أمام القبوي دليل قوة ، كما عجز العبرب امام تحددًى القرآن لهم ، فكان عجزهم أمام كتباب الله يليل قبوتهم في العجال الذي تحدّاهم القرآن فيه ؛ لأن الله تعالى حين بتحددًى رحين يُناذِل لا ينازل الضعيف ، لا بل ينازل القوى في مجال هذا التحدّى .

﴿ أَزِيَا خُذَهُ مَعَلَى تَعَوُّهُ فِعَالَ مَرَبَّكُمُ لَرُهُ وَقُلْ رَجِيدُ ١

التفوّف : هو الغزع من شيء لم يحدث بعد ، فيذهب فيه الخيال مذاهب شتّى ، ريتوقع الإنسان الوانا ستعددة من الشر ، في حين ان الواقع يحدث على رجه وأحد .

هُبُّ آنك في انتظار حبيب تأخُّر عن موعد وصوله ، فيذهب بك الخيال والاحتمال إلى أمور كثيرة .. يا تُرى حدث كذا أو حدث كذا ، وكل خيال من هذه الخيالات له آثر ولذعة في النفس ، وبذلك تلكثر المخارف ، أما إن انتظرتَ لتعرفَ الواقع فإنَّ كان هناك فزع كان مرة واحدة .

واذلك يقرلون في الأمثال: (نزول البلا ولا انتظاره) ذلك لانه إنْ نزل سينزل بنون واحد، أما انتظاره فيُشيع في النفس الوانا متعددة من الفزع والخوف .. إذن: التخوّف أشدُّ وأعظم من وقوع الحدث نفسه .

وكان هذا الفرع يعترى الكفار إذا ما علموا أن رسول أله الله يعبث سرية من السّرايا ، فيترقع كل جساعة منّهم أنها تقسمدهم ، وبذلك يُشيع أن الفرح في نفوسهم جميعاً ، في حين أنها خرجتُ لناحية معينة (''

ويعض المفسرين قال : التخوُّف يعنى التنفُّس بأنْ ينقص الله من رُقْمة الكفر بدخول القبائل في الإسلام قبيلة بعد الخرى ، فكلُّ والمدة منها تنقص من رفعة الكفر .. كما جاء في قوله تعالى :

ثم يقول المق تبارك وتعالى في تذبيل هذه الآية : ﴿ فَإِنْ رَبُّكُمْ لَرَءُوفَ رُحِيمٌ ﴿ * (**) ﴾

وهل هذا التذبيل مناسب للآية وما قبلها من التهديد والرعبيد ؟ قالعقل يقول : إن التذبيل المناسب لها : إن ربكم لشديد العقاب مثلاً ،

لكن يجب منا أن تعلم أن مذا هو عطاء الربوبية الذي ينشمل المباد جميعاً مؤمنهم وكافرهم ، قائل تعالى استندعى الجميع للدنيا ، وتكلّل للجميع بما يحفظ حياتهم من شمس وهواء وأرض وسنماء ،

⁽۱) أخرج البخاري في صحيحه (۱۲۵ ، ۱۲۵) ، ركتا مسلم في صحيحه (۲۱ه) كتاب المسلمِد من مديث جابر بن عبدات رضي الله عنه قبال قال رسول الله ﷺ ، • أعطيت خمساً لم يعطهن أحد قبلي ه وفيه • وتعدرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر » .

لم تُخلَق هذه الأشياء لواحد دون الآخر ، وقد قال تعالى :

﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرَّتُ الآخِرَةِ تَزِدْ لَهُ فِي حَرَّتِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرَّتُ اللهُ وَلَا يَرِيدُ حَرَّتُ اللهُ وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَصِيبٍ ﴿ ﴾ ﴿ الشودي]

وكان في الآية أونا من الوان رحمته سبحانه بخلَّقه وحرَّصه سبحانه على نجاتهم ؛ لأنه يُنبّههم إلى ما يمكن أن يحدث لّهم إذا أصرُوا على كفرهم ، ويُبحسّرهم بعاشبة كفرهم ، والتبصرة عنلة ، والعظة رأفة بهم ورحمة حتى لا ينالهم هذا التهديد وهذا الرعيد .

ومثال هذا النتييل كثيار في سورة الرحمن ، يقاول الحق تبارك وتعالى :

وَرَبُ الْمُسَاسُرِقَيِّنِ رَرَبُ الْمَسَاسِرِقِيْنِ ﴿ وَرَبُ الْمَسَانِ اللهِ رَبَكُسَا تُكَثِيَّانِ ﴿ ﴿ وَ الْمَسَاسُرِقِيْنِ وَرَبُ الْمَسَانِينِ ﴿ الْمَسَانِ اللهِ وَبَكُسُا

فهدّه نعمة ناسبت قرله تعالى :

﴿ فَبِأَيِّ آلَاءٍ رَبِكُما تُكَذِّبَانُ (١٨) ﴾

وكذلك في قوله تعالى :

﴿ مَرَجُ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٠٠ الْيَنْهُمَا يَرُزَحُ الْكُلُّ يَنْفِيَانِ ١٠٠ ﴾ [الدحدن]

خهذه تعمة من نعم الله ناسبت تذبيل الآية :

﴿ فَبِأَيْ آلاءِ رَبِكُمَا تُكَذِّبُانِ ٢٠٠٠ ﴾

(١) مرج : خلط البحر العلج والبخر العلب ، ومنعلى لا بيقيان أى : لا بيغى العلم على العلب فيخططان . [لسان العرب - عادة : مرج] .

 (Y) البرزخ : هو المسلوز من الأرض الثلا يبغي مذا على هذا وهذا على هذا فيلسد كل واحد منهما الأخر وبزيله عن صفته التي هي مقصودة منه . [تأسير ابن كثير ٢٧٢/٤] .

أما غى توله تعالى :

﴿ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا قَانِ ﴿ وَيَنْقَلَى وَجُهُ رَبِكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ ﴿ وَالْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴿ وَالْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ اللَّهِ اللَّهِ مِنْ عَلَيْهَا قَانِ ﴿ ﴿ وَالْجَلَّالِ وَالْعِلْمُ اللَّهِ مِنْ اللَّهِ اللَّهِ وَالْجَلَّالِ وَالْمُعْلَالِ وَالْمُعْلَالِ وَالْمُعْلَالُ وَالْمُعْلِيلُ

غما النعمة في ﴿ كُلُّ مَنْ عَلِيهَا فَأَنْ ﴾ ؟ هل قموت تعمة ؟!

تعم ، يكون المدود نصمة من نعم الله على عباده ؛ لأنه يقول المحسن : سبياتي الموت لتلقّى جزاء إحسانك وثواب عملك ، ويقول أيضاً للكافر : انتبه ولحذر .. الموت قادم ، كانه سبحانه يُوقظ الكفار ويُعظهم لينتهوا عدما هم فيه .. اليست هذه نعمة من نعم الله ورحمة منه سبحانه بعباده ؟

وكذلك انظر إلى قول الحق تبارك وتعالى :

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاطُ ﴿ مِن تَارِ وَتُحَاسُ فَلا تَسَصِرَانِ ۞ فَبِأَيُ آلاءِ رَبَكُمَا تُكَذِّبَانِ ۞ ﴾

قائ نعمة في :

﴿ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظً مِن نَارِ وَلُحَاسً . . ٢٠٠٠ إلا مسن

أيُّ تعمة في هذا العثاب؟

نعم المتدبّر لهاذه الآية يجد فيها نعامة أعظيمة ! لأن فينها تهديداً ووعيداً بالعذاب إذا استغررا على ما هُم فِيه من الكفار .. ففي طيّاتها تحدير وحرّص على نجاتهم كما نتوغد ولدك : إذا أهملت دروسك

⁽١) الشراط : اللهب الذي لا دخان فيه ، [لسان الحرب ـ مادة : شرط] ،

@WY-100+00+00+00+00+00+0

ستقشل واضعل بك كذا وكـذا . وأنت ما قلت ذلك إلا لحِـرمـك على نجاحه وقلاحه .

إذن : فتذييل الآية بقوله : .

وْ فَإِنَّ رَبُّكُمْ لُرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٠٠) ﴿ النعل إِ

تذبيل مناسب لما قبلها من التهديد والرعيد ، وفيها بيان لرهمة الله التي يدعو إليها كلاً من المؤمن والكافر .

ثم يقرل الحق سيمانه :

﴿ إِلَا لَهُ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن ثَقَ فِي مَنْفُي وَلَا لَهُ مَن اللَّهُ مِن ثَقَ فِي مَنْفُي وَ اللَّهُ مَن الْيَمِينِ وَالشَّمَآبِلِ مُنْجَدًا لِلَّهِ وَهُمَرَدَ خِرُونَ فَ اللَّهِ مَا اللَّهِ مَا اللَّهُ مَا اللَّهُ

مولة معالى :

[الندل]

﴿ أُولَمُ يُرُوا . . 🐼 ﴾

المعنى ﴿ أَعَدُوا ولم يَرُوا ولم يتدبروا نيما خلق الله ؟

﴿مِن شَيْءٍ . . ٢٠٠٠)

كلمة شيء يسمونها جنس الأجناس ، و ﴿ مِنْ ﴾ تفيد ابتداء ما يُقال له شيء ، أي : أتقه شيء موجود ، وهذا يسبمونه أدني الأجناس .. وتفيد أيضاً العموم فيكون :

﴿ مِن شَيءِ ، . 🖾 ﴾

ای د کل شیء

[النحل]

 ⁽¹⁾ تنيا فيه : نظال ، وتفيق الطلال : رجوعها بعد انتصاف النهار وابتعاث الأشياء خلالها .
 (أبسان العرب ـ مادة : فيا | ..

فانظر إلى أيّ شيء في الرجود مهما كان هذا الشيء تافها ستجد له خلاً :

﴿ يَتَفَيُّا طَلِالُهُ . . ﴿ النحل]

يتفياً : من غام أي : رجع ، والعراد عودة القال مرة أخرى إلى الشمس ، أو عودة الشمس إلى القال .

قلو نظرنا إلى الظل نجده على نوعين : ظل ثابت مستمر ، وطل مُتَفَيَّر ، فالظل الثابت دائماً في الأماكن التي لا تصل إليها أشعة الشمس ، كفاع البحار وباطن الأرض ، فهذا ظلُّ ثابت لا تأتيه اشعة الشمس في أي وقت من الأوقات .

والظلّ المستحصرك الذي يُسمّى الفَيَّء لانه يعسود من الظل إلى الشمس ، أو من الظل فيَّنَا إلا إذا كان يرجع إلى ما كان عليه .

ولكن .. كيف يتكون الظل ؟ يتكون الظل إذا ما استعرض الشمس جسم كثيف يسجب شعاع الشمس فيكون ظلاً له في الناهية المقابلة للشمس ، هذا الظل له خُولان وله استوام راحد .

طرل عند الشروق إلى أنْ يبلغ المسفرب، ثم يأخذ في التناقص مع ارتفاع الشمس ، فإذا ما استوت الشمس في السماء يصبح خلل الشيء في نفسه ، وهذه حالة الاستواء ، ثم تسيل الشمس إلى الفروب ، وينعكس طول الظل الارل من نامية المسفرب إلى نامية المشرق .

ويلفننا الحق تبارك وتعالى إلى هذه الآية الكونية في قوله تعالى:

﴿ أَلَمْ ثَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدُّ الظِّلِّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنَا ثُمُّ جَعَلْنَا الطَّلِّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنَا ثُمُّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهُ دَلِيلاً ﴿ لَهُ فَيَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿ ٢٠ ﴾ [الفرقان]

ذلك لأنك ثو نظرت إلى الظلّ وكيف يمتد ، وكيف ينقبض وينحسر لوجدت شيئا عجببا حقاً .. ذلك لأنك ثلاحظ الظل في الحالثين بسير سبرا انسيابياً .

ما معنى : (انسليابي) ؟ هو نوع من اتواع الحركة ، فالحركة إما حركة انسلابية ، أو حركة عن توالى سكونات بين الحركات .

رهذه الأخيرة ذلاحظها في حركة عقارب الساعة ، رهي أوضح في عقرب الثرائي منها في عقرب الدقائق ، ولا تكاد تشعر بها في عقرب الساعات .. فلو لاحظت عقرب الثرائي لوجدته يسير عن طريق قفزات منتظمة ، تكرن حركة فسكرنا فحركة ، وهكذا ..

ومعنى ذلك أنه يجمع الحركة في حال سكرته ، ثم ينطلق بها ، ويذلك تمرّ عليه لحظة لم يكن مُتحركاً فيها ، وهذا ما نسعيه بالحركة القفزية .. هذه الحركة لا تستطيع رّصنعا في عقرب السامات : لأن القفزية فيه دقيقة لدرجة أن العبين المجردة تعجز عن رُصندها وملاحظتها ، هذه هي الحركة القفزية .

أما المركة الانسيابية ، فتعنى أن كل جزء من الزمن فيه جزء من الحركة .. أى : حركة مستمرة ومُوزَعة بانتظام على الزمن .

ونضرب لذلك مثالاً بنبو الطفل .. الطفل الوليد ينمو باستمرار ، لكن أمه لملازمتها له لا تلاحظ هذا النبو ؛ لأن نظرها عليه دائماً .. فكيف تكون حركة النبو في الطفل ؟ هل حركة فقزية يتجمع فيها نبو الطفل كل أسبوع أو كل شهر مثلاً ، ثم ينمو طَفْرة وأحدة ؟

لو كان نموه هكذا للأحظنا نمو الطقل ، لكنه ليس كذلك ، بل ينمو بحركة انسيابية تُوزِّع المِلِّي الواحد من النمو على طول الزمن ، فلا نكاد نشعر بنموه .

ومكذا حركة الشحس حركة انسيابية ، بحيث تُوزع جزئيات الحركة على جُرئيات الزمن ، فالشمس ليست مركونة إلى ميكانيكا تتصرك عن التروس كالساغة مثلاً ، لا .. بل مركونة إلى أمر الله ، موصولة بكُنْ الدائمة .

وكان الحق تبارك وتعالى يريد أن يلفت خَلَقه إلى خاهرة كونية في الوجود مُحسة ، يدركها كلَّ منا في ذاته ، وفيما يرى من المراثى ، ومن هذه العظاهر خاهرة الظلَّ التي يعجز الإنسان عن إدراك حركته .

وفي آية آخرى يقول المق تبارك وتعالى : ﴿ وَطَلالُهُم بِالْفُدُورُ وَالْآصَالِ ۞ ﴾

فالحق سيحانه يربد أن يُعمم الفكرة التسبيحية في الكون كله ، كما قال تعالى :

وَوَإِنْ مِن شَيْءِ [لا يُسَبِّحُ بِحَسَمَدِهِ وَلَسَكِن لا تَفْسَقُسهُ وَنَ تَسْبِيحَهُمْ .. (13)

○^{MV}·○○+○○+○○+○○+○○+○○+○

فكل ما يُطلَق عليه شيء فهو يُسبِّح مهما كان منفيراً .

وقوله تعالى :

﴿ يَتَفَيَّأُ ظَلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ . . (١٤) ﴾

ننا هنا وقفة مع الآداء القرآئي ، حسيث أنى باليمين مُفَرداً ، في حيث أنى باليمين مُفَرداً ، في حيث أنى بالشمائل على مسورة الجمع ؛ ذلك لأن المق تبارك وتعالى لما قال :

﴿ أُولُمْ يُرُواْ إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيء . . (النحل]

اتى بأقل ما يُتصبور من مخلوقاته سيحانه ﴿ مِنْ شَيْءٍ ﴾ وهو مفرد ، ثم قال سيحانه :

﴿ فَلِالُهُ .. (13) ﴾

بصيفة الجمع . أى : مجموع هذه الأشياء ، فالإنسان لا يتفيأ عللُ شيء واحد ، لا .. بل خللُ أشياء متعددة .

و ﴿ مِنْ ﴾ هذا أقادت العموم :

﴿ مِن شَيءِ . . (الفحل]

أى : كل شيء . فليناسب المفرد جاء باليمين ، وليناسب الجمع جاء بالشمائل .

ثم يقول تعالى :

هِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ١٠٤٠) ﴿ النحل]

قما العلاقة بين حركة الطلل وبين السجود ؟

معنى : سُجُداً أى : خضوعاً ش ، وكأن حركة الظل وامتداده على استداد الزمن دليلٌ على أنه موصول بالمحرك الأعلى له ، والقائل

الأعلى لـ « كُنَّ » ، والظل آية من آياته سبحانه مُسخَرة له ساجدة خاضمة لقوله : كُنُ فيكون .

وقلنا : إن هناك فرقاً بين الشيء تُعده إعداداً كَلُنياً ، والشيء تُعده إعداداً قدرياً ، والشيء تُعده إعداداً قدرياً .. فصانع الفنبلة الزمنية يُعدَّها لأنَّ تنفجرَ في الزمن الذّي يريده ، وليس الأمر كذلك في إعداد الكون .

الكرن اعدّه الله إعداداً قدرياً قائماً على قوله كُنْ ، وفي انتظار لهذا الأمر الإلهى باستمرار (كن فيكون) ، وهكذا .. فليست المسالة مضبوطة ميكانيكياً ، لا .. بل مضبوطة قدرياً .

لذلك يحلو لبعض الناس أن يقول : باق الشمس كذا من السنين ثم ينتهى ضورُها ، ريُرتُب على هذا الحكم أشياء أخرى .. نقول : لا .. ليس الأمر كذلك .. فالشمس خاضعة للإعداد القدري منضبطة به ومنتظرة لـ « كُنُ » التي يُصغى لها الكون كله ؛ ولذلك يقول ثعالى :

﴿ كُلُّ يَوْمُ هُو فِي شَأْنُ ﴿ 17 ﴾

هكذا بينت الآية الكريمة أن كل ما يُقال له « شيء » يسجد ف عز وجل ، وكلمة « شيء » جاءت مُفْردة دالّة على العسوم .. وقد عرفنا السنجود فيما كلّفنا الله به من ركن في الصلاة ، وهبو مُنْتَهي الخضوع ، خضوع الذات من العابد للمعبود ، فنحن نقضع واقفين ، ونخضع راكهين ، ونخضع قاعدين ، ولكن أثم الخضوع يكرن بأنْ نسجد شه .. ولماذا كان أثم الخضوع أن نسجد شه ؟

نقول : لأن الإنسان له ذات عاملة ، وفي هذه الذات سيد للذات ، بحيث إذا أطلق انضرف إلى الذات ، والعبراد به الوجه : لذلك حبينما يعبّر الحق تبارك وتعالى عَن فَنَاء الوجود يقول :